النزعة الحلقية بين المدينة والمخيم أو بين الضفة وغزة أو بين الأهل في ٤٨ والأهل في ٦٧، كان التثقيف حداثياً على قاعدة المواطنة المتساوية ووحدة الشعب والمصير تجاوزاً للعشائرية والمناطقية والجنسوية والطائفية الموروثة من المجتمع التقليدي.

أما عن التماهي مع العدو الذي يقهر شعبنا ويتعالى عليه وينظر له كمتخلف وجاهل وخامل ودون قضية عادلة ولا جدوى من نضاله ويخضع للقوة، أي نظرة الاستعمار للشعب المستعمر التي كتب عنها فرانز فانون في (معذبو الأرض)، فالتعبئة كانت مغايرة للتماهي، فثمة تعزيز للثقة بالشعب فإنه مقاتل في سبيل الحرية وكفاحه سوف يتكلل بالانتصار، مع إدانة أية إساءة للجماهير ورفقاء العمل.

وثمة قناعة بكلمات فرانز فانون (إن التحرر يتحقق بالعنف) وكلمات راؤول كاسترو (إن العنف هو المحرك الصغير الذي يحرك المحرك الكبير) وتساءلنا عن امكاناتنا وتساءلنا عن الخصوصية الفلسطينية؟

لم تشدنا المشهدية والاستعراضية متأثرين بكلمات لينين (إن البروليتاريا تترك خطابات المآدب والمنابر للبرجوازيين الديمقراطيين.. ولكنها تتقدم في نضال الجماهير الثوري) وأن النضال والتضحيات غرضهما أنسنة الإنسان، أي تحريره فهو أعلى القيم، ذات وهدف النضال.. بغية صنع الجنة للناس على الأرض، كدافع أخلاقي تحريري للشعب وليس ديني استرضاء للسماء.. ومع الزمن حضرت مقولة باولو فريري (الحوار شرط أساسي من شروط أنسنة الناس بشكل حقيقي)، ومراراً وتكراراً، اقتبسنا كلمات لينين (إن الصدق في السياسة هو مطابقة الأقوال والأفعال) وكان هذا تحدياً ومهماز في آن بصرف النظر عن حجم النجاح، وكلمات ماركس (إن السعادة في النضال) والنجاحات تشحذ السعادة وتذكيها، ورأينا في تجربتنا الثورية مصداقاً لكلمات دوبريه (السعادة حين تستطيع أن تسمى ما تراه وتفعله وتحس به.. وقرقعة المفتاح الذي يدخل صائباً في القفل بعد أن تكون جرّبت في القفل على غير طائل حزمة من المفاتيح غير الصالحة، تلك الرعشة الصغيرة واللذيذة التي تدلك على أن هذه هي التركيبة الجيدة)[٣٦١] لهذا لم يكن صدفة أن نستمر سنوات وسنوات في العمل الثوري، نستأنف النشاط ما أن نتحرر من أكياس السجن)[٣٦٢].

---

٣٦١) ريجنس، مذكرات برجوازي صغير، دار الآداب ١٩٧٠، ص١٩١

٣٦٢) قيادي في الجبهة